إشكالات النظرية في النقد العربي الحديث والمعاصر

د. بغداد يوسف

جامعة جيلالي ليابس

ملخص

إنّ القارئ أو النّاقد العربيَّ، وهو يحلِّلُ النّصوص الأدبيّة وفق المنطلقات الحديثة والمعاصرة سواء كانت أسلوبيةً أو لسانيةً، أو سيموطيقيةً أو غيرها...، يبقى دائماً يعاني من المرجعيات والمكابدات النّظرية اتّجاهَ النّصوصِ، أو بالأحرى يدفعه ويضطرّه ذلكَ النصّ إلى التّفكير به نظرياً.

ولعلّ هذا ما تحتاجه الثقافة العربية اليوم، أي البحث في المسائل النقديّة ذاتَ الاتّجاه النّظريّ أو ما يسمّى الآنَ بـ: نقد النّقد والّذي يتطلّب ضرورةَ العناية بالنّظرية. وهذا باعتبارها حقلاً معرفياً وإبستيمولوجيّاً مستقلاً، وبالتالي إعادة إثارة النّقاشِ وطرحِ أسئلة قديمةٍ حديثةٍ كـ"الماهية والأصول المعرفية للمقولات والنظريات والمفاهيم... ثمّ بعدها الانتقال إلى أسئلةِ الفهمِ فهمِ النّصوص في ضوءِ تلك المقارباتِ النّظريّةِ.

Résumé :

Le lecteur ou le critique arabe, qui analyse les textes littéraires selon des perspectives modernes et contemporaines, que stylistique ou linguistique, ou Samutiqih ou autre ..., il reste souffre toujours des références et Almkabdat direction théorique des textes, ou plutôt payer et l'obligation que le texte à penser en théorie.

C'est peut-être ce dont la culture arabe a besoin aujourd'hui, c'est-à-dire de la recherche sur les questions théoriques de l'argent liquide, ou de ce que l'on appelle maintenant: la critique de la critique, qui nécessite de s'occuper de la théorie. Ce champ est comme une connaissance et Épistémologie indépendant, et donc re-débat et mis moderne « identité, les actifs des catégories cognitives, les théories et les concepts de vieilles questions ... et ensuite passer à comprendre les questions à comprendre des textes à la lumière de ces approches théoriques.

لكن للوصول إلى هذا المبتغى والإلمام به ينبغي الانطلاق أو بالأحرى الإجابة على إشكاليات مهمّةٍ وضرورية، ترتسم من خلالها ملامح هذا الموضوع.

أوّلاً: هل يمكن للثّقافة العربيّةِ ابتكار نظرياتها الخاصّة بها؟

ثانياً: كيف نقف على بداية التّفكير النّظريّ عند العرب؟ إن وجد...؟

ثالثاً: هل نستطيع تحديد مميزات خاصّة للنظرية العربية دون الاتصال بالنّظريات العالمية؟ أم العكس؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وفهمِ هذه الإشكالياتِ، ينبغي إعادة غربلةٍ وتمحيصٍ لعلاقة ثقافتنا مع الغَرب أو مع غيرنا ممّن صارَ الاحتكاك معهم، وأيضاً إعادة النظر في بعضِ القراءاتِ الاستشراقيَّةِ الّتي حرمت العقل العربيَّ وجرّدته من أيّ قدرة على الإنتاج إنتاج النّظريّة بطابعها العام سواء علمية، رياضية، أدبية، فلسفية... أمّا ما يهمّنا في هذه الدراسةِ النظرية الفكرية النقدية وكذا تطوّرها عند العرب. وهذا في رأيي لا يتمّ إلاّ بإعادةِ قراءة المدوّنة النظرية للخطاب النقدي العربي قراءةً عميقة ومتأنّيةً لا تحاصرها الحدود والحواجز، والأفكار الجامدة.

ولكي توفّق هذهِ القراءةُ ينبغي الوقوف عند بعض المصطلحاتِ لكي تتبيّنَ المعالم الأساسية لهذه القراءة الشّاملة، فمثلاً ضرورة التّفريق بين [العلم، المنهج، النّظرية]. "فالعلم Science" هو كلّ مذهبٍ يشكّل منظومةً أو مجموعةً من المعارفِ منظّمةً بحسب المبادئ*.

أمّا "النّظرية Theory" فهي ليست المعرفة بذاتها، بل هي عبارةٌ عن اجتهادٍ فرديّ عكس "العلم" الذي هو عبارة عن استنتاجاتِ منسجمةِ، كما أن النّظرية تقوم على:

- مجموعة منظّمة من المفاهيم الخاصّةِ.
- افتراض أفكارٍ مسبّقةٍ.

كما أنّ "النّظريّة" تقتصّ من الدّين المزايا التّأثيرية والمطلقة والكليّة ذات الأصول الإلهية لتعيد إنتاجها في فكرٍ بشريٍّ، وبين العلم والنظرية يقف "المنهج" والذي هو عبارة عن مجموعة طرائق وتخطيطاتٍ صورية سابقة تتضمّن منطقاً مقنعاً وواضحاً بغيةَ الوصولِ إلى نتائج مقبولةٍ، لها القدرة على حلّ تلك المشاكلِ، كما أنّ غاية "المنهجِ" أيضاً هي إضفاء العلمية والموضوعية على الحكم الذي تمّ التوصّل إليه.

1) المعرفة العلميّة وتطوّر النّظرية:

انتقل التطوّر الفعلي للنظرية المعرفية وبدأ تحوّله منَ التقليد إلى الفهمِ العميقِ والجديدِ مع نهاية القرن العشرين، وكان ذلك نتيجةً للتطوّر العلميّ الهائلِ، ما اقتضى من العلماءِ والباحثين أن ينظروا إلى "النظرية Theory" كعلمٍ قائمٍ بذاتهِ[1]، وهذا كلّه يتمّ عبر معارف

---

*- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ط1، 2009، دار الكتاب المتحدة/ بنغازي، ليبيا، ص ص 17- 18.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 18- 19- 20.

قبليةٍ تستقي وتتحرّى عن ذلك من تصانيف ومصادر الكتب القديمة والحديثةِ، ومن ثمَّ إخضاعَها إلى منهجٍ رياضيٍّ دقيق في مقدماتها ونتائجها (هذا كلّه مفقود في الثّقافة العربيّةِ).

ولعلَّ قصور وعجز العربِ عن إنتاجِ نظرياتٍ ذاتِ خلفياتٍ فكريةٍ وفلسفيةٍ، راجع إلى عدم فهمِ التراث القديم واستثماره على أحسنِ وجهٍ، وكذلك الابتعاد عن ربط النظريات العربية بالمجتمعِ وسيرته الواقعيةِ مع التفكير العقلاني الذي يتطلّب التعامل مع المعارف بمنطقٍ علمي خالص. فصنع النظرية اشترك فيه العرب وغيرهم خاصّة في عصرِ امتزاج الثقافات[2]، وانتقالها إلى العرب في القرن (2هـ)، حيث أنتجت نظريات حتى وإن لم يكن منتوجها عربي إلاّ أنّ ما ميّزها لسانها أو لغتها العربية، وكان لا يفهم هذه النظريات إلاّ النّخبة من النّاسِ.

فالنظرية عند العرب شملت [اللغة والجغرافيا، العقل)]، فنجد النظرية اللّغوية القديمة خاضعة لفلسفة "أرسطو" وعمله الجمالي حول البلاغة واللّغة.

أمّا النّظرية العربية الحديثة فتنوّعت مصادرها فمنها:

- تاريخ الأدب (السيموطيقا)
- الإبستيمولوجيا (نظرية المعرفة)
- علم البلاغة (علم الدّلالة) صوتية- نحوية
- السيكولوجيا- السّوسيولوجيا
- الأسلوبية- اللسانيات
- نظرية الثقافة- الفكر الفلسفي
- الميثودولوجيا (علم المنهج)
- الأنثروبولوجيا- الميثولوجيا
- علم النّص- الشّعريات
- الثقافة الشعبية
- المذاهب الأدبية- قوانين الإبداع الأدبي

وهناك مصادر أخرى للنظرية النقدية الحديثة تفرّعت من الفكر الفلسفي أو نظرية الثقافة:

- الأركيولوجيا- الماركسية
- الظاهراتية– الوضعية
- فلسفة التاريخ- الفلسفة النقدية
- فلسفة الحياة- العقلانية
- الوجودية- التفكيكية
- البراغماتية- الفلسفة البنوية
- الهرمنيوطيقا- علم الجمال.

2) المفهوم العلمي للنّظرية:

يرجع جذر "النّظرية Theory" إلى النّظرِ والمشاهدةِ، وهذا المفهوم تشترك فيه العربيةُ والإغريقيةُ واللاّتينيةُ، واصطلح هذا المفهوم إثر تمييز خاصٍّ آمنَ به العلماءُ والفلاسفةُ القدماءُ، مفاده أنّ المعرفةَ الإنسانيّةَ [النّظر] تختلف عن المعرفةِ الحسيّةِ [الحسّ] فالمعرفة تقع بالنّظرِ، وهو ما يعرف بـ"النّظرية المعرفية Theoretical knowledge"

---

[2]- محمد صالح الشنطي، مقال [رؤية الغذامي للنظرية النقدية في التراث العربي]، مجلة علامات، جدة/ السعودية، العدد 76/ 2013، ص 277 وما بعدها.

ويتّصف بها [الحكيم- الفيلسوف- العالم]. أمّا "المعرفة العلمية Practical knowledge" فهي تتّصل بقضايا مادية صرفة.

النّظر: التأمّل- التدبر- التّفكر- العقل [في اللسان العربي][3].

ويعني: الحقيقة- المعرفة- التعلم [في اللسان اللاّتيني والإغريقي].

أمّا في الثّقافة الشّعبيّة العالميةِ القديمةِ فنجد العلمِ أسبقَ من النّظرية، كما أنّ مصطلح النّظريةِ لم يرد أيضاً في الثقافةِ العربيةِ بل كان تابعاً للعلمِ، فكان الفلاسفةُ يقولون: علوم نظريّة، أي لم يصفوها بأنّها مركّب معرفي مستقل. وإذا عدنا إلى أوّلِ معجمٍ [العين] للخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) لا نجد صيغة [نظرية]، وإنّما نجدها بجذرها الثّلاثي (نظر).

ولتحديدِ المفهوم الدّقيقِ للنّظرية عند العربِ نعتمد على ما ذكر في "المعجم الوسيط" (1960م): «النّظري: يقال أمر نظريّ، وسائل بحثهِ الفكر والتّخييل، وعلوم نظرية: قل أن تعتمد على التّجاربِ العلميةِ، ووسائلها قضية تثبت ببرهانٍ، والنّظرية في الفلسفة: آراء تفسّر بها بعض الوقائعِ العلميّة والفنيّة، وكذا البحث في المشكلات القائمة بين الشّخص والموضوعِ والعارفِ والمعروفِ، ووسائل المعرفة أهي فطرية أم مكتسبة»[4].

وبناءاً على ما سبق يفهم أنّ مفهوم النّظرية في الثقافةِ العربيّةِ كان محصوراً في المعاجِمِ. كما أنّ النظرية تتحقق أكثر في تحليل الخطابات الأدبيةِ وتحديدِ مقوّماتها التي تشرك فيها كلّ الأجناسِ الأدبيّةِ وهي النظرية التطبيقية أو "نظرية الأدب" فهي تصدر قوانينها اتجاهَ الخطابِ الأدبيّ عن طريقِ توجيهاتٍ منطقيةٍ تنبع من سلطةٍ عليَا.

- النّظرية: لها تصوّرات منطقية ورياضية مجرّدة - تنتج مفاهيم، تشرّع فرضيات.
- نظرية الأدب: تبحث في قوانينِ الخطابِ الأدبيّ.

النّظرية نشأت في حقلِ الدّراسات الأدبيةِ، لأنّ الأدب تحوَّل إلى نظامِ شفراتٍ لا يفهمه كلُّ القُرّاءِ، وصارت الحاجة إلى قارئٍ متخصّصٍ يعرف قواعد تلكَ الشّفرات وهو النّاقد الأدبيُّ. حيث نجد "رينه ويليك ReniWelak" سنة 1948 يقول: « نظرية الأدبِ هي دراسة مبادئِ الأدبِ، مقولاتهِ، معاييره، وما أشبه ذلك»[5]. وأضاف على هذا التعريف فيما بعد أصناف الأدب. لكن كلّ هذه المبادئ والأصناف التي ذكرت لم يتمّ الاتفاق عليها فاختلفت الآراء، وضمّت نظرية الأدب عدّة نظرياتٍ بداخلها بتطوير مقولاتها قد تم ذلكَ عبر مراحل تاريخيةٍ مهمّة في تاريخ النقد الأدبي عامَّةً والنظرية الأدبية خاصّةً[6]:

---

[3]- ينظر: ناظم عودة، المرجع السابق، ص ص 24- 24.

[4]- المعجم الوسيط، قام بإخراجه مجموعة كتاب، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1989، ص 932.

[5]- وارين أوستين ورينه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطرابيشي، ط1، سوريا، 1972، ص 47.

[6]- ناظم عودة، المرجع السابق، ص ص 42- 43- 44- 45- 46.

- **المرحلة النّموذجية**: اعتبرت فيها مفاهيم "أرسطو" كقوانين عامّةٍ تنطبق على الأدب، وعليه أصبحت دستوراً نظرياً لكلِّ العصورِ، قصد خلق عالم نظري لعالم الأدب.
- **العصور الوسطى**: مرّ فيها العمل على تقليد النّموذج الأرسطيّ، واتّصفت فيه النّظرية باللاّهوت والفلسفة المدرسية، أو ما عرف بالثّالوث [النحو- المنطق- الخطابة] والرّابوع [الحساب- الهندسة- الموسيقى- الفلك]، وقد اعتنى بذلك شرّاح "أرسطو".
- **عصر النّهضة**: امتدّ من نهاية القرن 15 إلى القرن 17 ميلادي، وقد أعلن فيه التحرّرِ من قيودِ الكنيسةِ، كمل ظلَّ التنظير يدور في ظلِّ الفلكِ الأرسطي وظلّت النّزعة إحيائيةً [التراث]، في حين برز تيّار جديد يدعو إلى مركزية الإنسان والخروج من معياريةِ وعقلانيةِ "أرسطو".

أمّا النّظرية الأدبيّة فبقيت سيرتها مجرد تعليقات، فكتب "الشعرية" كانت شروحاً ومناقشاتٍ حول كتب "أرسطو" في "الشعرية"*. أيضاً كثرت الكتابات حول: [قواعد التّراجيديَا والكوميديَا- الملحمة والرّواية- ارتباط الخطابات ببنياتٍ إيديولوجيةٍ].

3) **مرحلة جديدة [الفلسفة النقدية الجمالية]:** بدأت في القرن 18، وأهمّ ما ميّزَها هو: - التحرّر من مقولات "أفلاطون" في علم الجمالِ، وظهرت فلسفة جديدة على يد "كانط"[7] الذي جعل الذات هي منطلق الحكم الجمالي، كما أنّ النظريّة تحوّلت من البحثِ في الأفكارِ الموجودةِ في الفلسفةِ والأخلاقِ والميتافيزيقيا إلى البحث في الظّواهر الفنيّة وكيفية إدراكها[8].

- **الشّكلانية الرّوسية [1915- 1930]:** مثّلت هذهِ المرحلة نقطة تحوّلٍ في المعتقداتِ السّابقةِ، أي الانتقال من التفكير السّياقي إلى التفكير الشكلاني وأيضاً تحوّل النظرة الأدبية من كونها رسالةً إيديولوجية أو أخلاقية أو... إلى تجليةِ الجانب الفكري والنّظري حيث جعلت له وظيفةً[9].

كذلك نشأت نظريات في النّقد ونظرية الأدب ومهمتها معالجة الأدب باعتبارهِ انعكاساً لأحداثِ التاريخ والواقع الاجتماعي، والاهتمام بالقيمة الأدبية في منحاها اللّساني والشكلي- ابتعاد عن المؤثّراتِ الخارجيةِ.

دراسة اللغة الشعرية وقوانين الأشكال الأدبية الخاصّةِ باللّغةِ [موسيقى الشّعرِ، الصورة الأدبية، نظام السّردِ].

---

*- ينظر : تودوروف: الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء، 1990، ص 13.

[7]- الزواوي بغورة، مقال [في النقد الفلسفي محاولة في تحديد المفهوم]، مجلة عالم الفكر، المجلد 41/ العدد 4/، 2013، ص ص 41- 42- 43.

[8]- ينظر: ناظم عودة، المرجع السابق، ص ص 44- 45.

[9]- إريلبنج فيكتور، الشكلانية الروسية، تر: محمد الولي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص ص 6- 7.

- **المذاهب الأدبية (النقدية):** وهي تلك المذاهب المحصورة بين الشكلانية والشعرية وأهمّها: النّقد الجديد (New Criticism) والذي ظهر بكلٍّ من "بريطانيا وأمريكا" في القرن (20م)، فرنسا في القرن (21م).
وكانت أهداف النّقدين واحدةً أهمها:

- مناهضة الإيديولوجيا والماركسية والنّظريات السّياقية كالتحليل الاجتماعي، النفسي، الميتافيزيقيا، الخلاق، الانطباعية.
- الاهتمام بالعملِ الأدبيّ بذاته ولأجل ذاتهِ.

وفي ظلّ هذه الفلسفة النقدية الجديدة تطورت النظرية الحديثة وامتازت عن النظرية القديمة حيث أنّها تمكنّت من تطويع فرضيات العلوم المختلفةِ لصالحها، وعليه اتّصفت بثقافة العصرِ ومشكلاته الفكرية والمنهجية.

4) النّظرية في الخطاب النقدي العربي:

في مقابل ذلك التطوّرِ الأوربيّ، كان الفكر العربيّ الحديث يعاني من فقرٍ كبيرٍ في إنتاج النظرياتِ بخلاف الفكر العربيّ الإسلاميّ الذي تعامل مع الخطاب النّظريّ الكلاسيكيّ بمعاملةٍ حسنةٍ خاصّة الإغريقيَّ منه. قبل الخوض في هذا المبحث ينبغي التذكير بفكرةٍ مفادها أنّ هناك فرق بين الفكر العربيّ الإسلاميّ والفكر العربيّ الحديثِ. فالفكر العربي الإسلامي عرّف كلمة النظرية منذ القرن الثاني هجري، حيث عمل علماء الإسلام على جعلِ النّظريات جزءاً من الواقع الثّقافي وأيضاً حاجة الإنسان إلى امتلاكِ أدواتِ المعرفة، ما أدّى به إلى تطوير نظريات خاصّة بهم، تعالج قضاياهم، فوضعوا نظرياتٍ في: [أصول الدّين- الفقه- علوم الأدب- نظرية العامل في النّحو- نظرية خلق القرآن- نظرية الجبر والاختيار في القواعد- نظرية النّظم في البلاغة- نظريات نشأة علم اللّغة]. إضافةً إلى الصّراع الفكري الإسلامي كالمعرفة النّقلية (السّلفيون) والمعرفة العقلية (المعتزلة) ما أنتج خطاباً نظرياً.

ولعلّ البداية الصحيحة للفكر الإسلامي النّظري كانت بداية أسطورية مع الخليفة العبّاسي "المأمون" الذي كان مولعاً بالثقافة والأدب، فاهتم بالثقافات المختلفة وحرص على نقلها إلى العربية. في حين كان هناك محطّات مهمّة في تاريخ الثقافة العربية يمكن اعتبارها بدايات أو مؤشرات على أسبقية العرب في هذا المجال: كقصّةِ بدايةِ النّحوِ العربي، وأسئلة القرآنِ التي أدّت إلى ميلاد العقل التّأمليّ. وما ميّز الثقافة العربية أن العلوم نشأت قبل النظريات حين انتقل العقل العربيّ من الخرافة (كمقولة لكلّ شاعرٍ شيطان) ما قبل الجاهلية إلى مرحلة أخرى تاريخية جغرافية في الجاهلية، ثم إلى علمي تاريخي في عصر صدرِ الإسلام، ثم إلى مرحلة أخيرةٍ ومهمّةٍ إلى علم نظريّ بعد تعريب العلوم والفلسفة.

كل هذه المراحل أو المحطات في تاريخ الثقافة العربية تميّزت بخصائص متنوّعة بدأت بـ: أولاً: المثاقفة مع تراث العالم (القرن الثاني هجري)، ثانياً: قدرة اللغة العربيّة على استيعاب الأفكارِ الجديدةِ، ثم محاولة تحديد المصطلحات (النّحت- عمود الشّعر- الفصاحة...) ثم وصولاً إلى مرحلة التأصيل النّظري التي نضجت مع نضج النقد الأدبي عند العرب بمراحله التاريخية، والتي لا تزال ممتدة، وأيضاً لا زالت تعاني من المكابدات النّظرية والمنهجية.

5) قضية الفنّ والجمالية:

يتداخل مفهوم "الفن مع مفهوم الجمال"، ما يقود أي باحثٍ عن مفهوم "الفن" إلى الولوج إلى باب (فلسفة الجمال أو علم الجمال)، وهذا لاعتبارٍ مفاده أنّ هذا « العلم يدرس النّشاط الجمالي للإنسان، والمضمون الجوهريّ للنشاط الجمالي هو تشكيل العالم وفقاً لقوانين الجمال...، بوصفه علماً، مهمته هي تقرير قوانين النشاط الجمالي وأشكاله المختلفة وأحوال تطورها، وكيفيات تحقيقها ومنظورات تطورها»[10].

"الفنّ" معناه خلق أو إنتاج موضوعات من طرفِ البشر، وعليه ظهر مفهوم "الفنان الخلاق" وسمي نشاطه "العمل الفني". أما "الجمال" فيشير إلى قيمة الأشياء وكذا جاذبيتها، و"الإستطيقي" معناه إدراك موضوعات طريفة والتطلع إليها[11]. أيضاً من صفات "الجمال" أنه كامن في الشيء نفسه، بخلاف "الفن" الذي يعتبر إنتاجاً لموضوعات تنافس هذه القيمة، والإستطيقا هي عملية التعرف على القيم.

يرتبط مفهوم "الجمال" دائما بالأسئلة، أي إذا سلّمنا بوجود الجمال في الطبيعة، فكيف نتعرف عليه؟، وكيف نمنح له قيمته؟ أو بالأحرى على أي أساسٍ نقيّمه؟، هل هناك رؤية خاصة للجمالية؟

بدأ التساؤل عن الجمال منذ القدم على الأقل عند اليونان، فمثلاً "سقراط" يسأل أحد تلامذته: « ماذا عسى أن يكونَ الجمال؟»، فقام التلميذ بتعداد الأشياء الجمالية، فنبّهه أستاذه إلى أن يسأل عن الماهية، ولا تكون الإجابة عن الماهية بتعداد الجزئيات التي تنطبق عليها. كان سقراط (390- 470 ق.م) يعلّم كلاً من "براسيوس الرسام" و"كليتون النحات" طريقة تمثيل أحبّ ما في النموذج من الأشياء بأن ينقل جمال النفس الحقيقي بالإشارات، وهذا المعنى أن علم الجمال كباقي العلوم الأخرى (علم الفلك، علم الهندسة)[12]، ونضيف أنّ معايير الجمال موضوعية وليست ذاتية كما كان يراها "السفسطائيون"، ومصدر هذه الفكرة هي أنّ العقل الإنساني لا يتغيّر بتغير الأشياء، والجمال الحقيقي هو جمال الباطن أو جمال النفس، وعلم الجمال له أخلاقياته بالدرجة الأولى.

يقدم "أفلاطون" (347- 427 ق.م) نفس المفهوم للجمال كما قدمه "أرسطو"، فنظرته للجمال هي تقريباً نفس نظرته للمثل، وبالتالي يصبح الجمال هو ذلك المثال المتسامي عن الطبيعة، في مثال الجمال الخالد الذي يضيء عالم الجمال كما تضيء الشموس العالم[13]. ويرى "أفلاطون" أيضاً أنّ الجمال معدوم على هذه الأرض، وموجود فوق العالم أو ما وراءه...، والجمال في ذاته لا يلمس أو يمسك، لكن هذا لا يمنع من أن نعمل ما في وسعنا

---

[10]- عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص 108.

[11]- حاتم بن عبد الله الزهراني، شجاعة العقل، دراسة في الفكر الشعري والنسيج اللغوي عند المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عمان، الأردن، 2010، ص ص 116- 117.

[12]- محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم- محاولة تنظيرية تطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع، ط1، 2016، الجزائر، ص ص 80- 81.

[13]- نقلا عن حاتم الزهراني، المرجع السابق، ص 117.

محاولة للتقرب منه. ويعرف "أرسطو" (384 ق.م) الجمال كما يعرفه أستاذه، فيرى أن الشخصيات فيما تمثل من جمال يجب أن تكون أجمل مما في الواقع، أجمل من أن تكون حقيقة... كما يضيف أن الجمال ليس صفة ملازمة لألف شيءٍ وشيء، فالناسُ والحيوان والألبسةُ والعذراءُ أشياءٌ جميلة[14]. لعلّ أهم قاعدةٍ تنبني عليه الأسس الجمالية هي الاستعداد الفطري أو التلقائي لتقبل الجمال، لأنه إن لم يكن لدينا إحساس وشعور بهذا الجمال، فإننا لا ندركه ولو كان يحفّ بنا من كل جانب، وهذا ما عبّر عنه "هوتنسون" الانجليزي (1694-1746) بقوله: « لو لم نكن نحمل في ذواتنا شعوراً بالجمال، لكان من المحتملِ أن نجد الأبنية والحدائق والألبسة، والأدوات مفيدة، ولما كان باستطاعتنا مطلقا أن نجدها جميلة»[15].

أمّا في عصر النّهضة فقد عرّف الألماني "إيمانويل كانت" (1724- 1804) الجمال بتعاريف مختلفة، فهو يصنف الفنون الجميلة تبعاً لتوزيع أساسي للعبقرية البشرية إلى:

- فنّ الكلمة: (الفصاحة والشعر).
- فنّ الصورة: (نحت- هندسة- رسم وفنون).
- فنّ الصوت: (الموسيقى).

ويضيف فنوناً أخرى يسميها هجينة ولها ارتباط قديم وهي: المسرح والغناء والأوبرا والرقص[16].

وعن الجمال في الأدب (شعراً أو نثراً) أعظم جمالٍ هو جمال اللفظة، فهو تزين الجملة وتنمقها، وتكون مع الكلمات الأخرى أكثر بهاءاً وهو ما يدهش النقاد والمهتمين فيصيحون معجبين: هذا جميل !... لأنّ الكلمة هي السّحر نفسه.

إنّ الجمال موجود في الطبيعة، ويتعرف الناس عليه عن طريق القوانين الذهنية القبلية، وحينما يتمّ لهم التعرف والاطلاع الذي تقدمه لهم الحياة تصبح لديهم القوة لمحاكاةِ الجمال تسمّى قوة (العبقرية)، ومن هنا « فالفنّ الجميل بالقدر الذي يبدو فيه على الفورِ شبيها بالطبيعة، كما أنّ الفنّ الجميل هو فنّ العبقرية»[17].

6) **الأدبية**: يقترب هذا المصطلح من مصطلح الشعرية، من حيث الغاية والمفهوم، فالأدبية ترتبط بأصول النظرية الأدبية، والتي ظلت قاصرة وعاجزة أمام تشعّب العوامل الخارجية وتعقدها، في حين انصبّ اهتمامها بالمميزات الخاصةِ بالأدب، وما يعتريه من جماليات، وهذا هو السبب الرئيسي في توثيق العلاقة بين الأدبية وبين نظرية الفنّ وعلم الجمال بصفةٍ عامة[18].

تتقاطع الشعرية مع الأدبية أكثر مما تختلف معها، وهذا في مناحٍ عديدةٍ خاصة في المسائلِ المطروحة، وأيضاً من حيث العوائق التي تعترض سبيلَ البحثِ.

---

[14]- ينظر: محمد مرتاض، المرجع السابق، ص 21.
[15]- المرجع نفسه، ص 28.
[16]- ينظر: محمد مرتاض، المرجع السابق، ص ص 110- 111.
[17]- ينظر: حاتم الزهراني، المرجع السابق، ص 120.
[18]- ينظر : تودوروف، المرجع السابق، ص ص 13- 14.

اهتمت الأدبية بالأدب، باعتباره إنجاز لغوي له نظامه الخاص المميز[19]، فأيضاً باعتباره كلاماً يبعث اللذة أو يثير الاهتمام لدى سامعه أو قارئه، وبالتالي يكتب له الخلود، فالأدب أكثر صناعةً من الكلام العادي. أيضا نظرت الأدبية إلى اللغة على أنها محملة بقصدية تستهدف إنتاج انطباع جمالي شعري جذاب.

يظلّ مفهوم الأدبية مفهوماً غامضاً إلى حدّ الحيرة ومجرداً مستعصي الفهم فالإجابة على سؤال مفاده: ما الذي يجعل الأدب يسمّى أدباً؟ وهذا سؤال صعب حقيقةً ومحيّر، ولا يكاد يعرف له جواب.

يتطلب الكشف عن أدبية الأدب التركيز على الاستعمال الخاصّ للغة في الأدب باعتبارها المادة الأولى له، تماماً مثل: الحجر والبرونز مادتان للنحت، والألوان مادة للرسم، والأصوات مادة للموسيقى[20].يمكن تمييز الأعمال الأدبية عن غيرها بميزة يتصف بها الأدب هي الوظيفة الجمالية، في المقابل إذا تضمن العمل غير الأدبي بعض العناصر الجمالية لا تكون هي المقصودة بالدرجة الأولى.

7) **الأسلوبية**: تعدّ الأسلوبية من أهمّ علوم اللغة في العصر الحديث وأجداها في دراسة النصوص وتحليلها، والحديث عنها يقود إلى الحديث عن الأسلوب أولاً باعتبارهما مصطلحين مترادفين:

"فالأسلوب" هو مجموعة العناصر التي يتكون منها الخطاب الأدبي، بدءاً من الكلمة، فالجملة، فالعبارة، فالنّص سواء كان هذا في الشعر أو النثر.

في حين أن "الأسلوبية" طريق طويل يهدف إلى تحليل التركيب اللغوي للنصوص، فكلمة "أسلوب" ''Style''» اشتقّ منها كلمة [21]''Stylistics''. وترجع في أصلها اللاتيني ''Stilus'' التي تعني الريشة أو القلم، أو أداة الكتابة[22]. انتقل هذا المصطلح إلى النقد العربي الحديث، ولعلّ أوّل من نقله وترجمه هو "عبد السلام المسدي" بـ: ''Stylistique''، ويترجمه "سعد مصلوح" بـ: ''Stylics''بالأسلوبيات بدلاً من الأسلوب أو علم الأسلوب، ويستعمل "صلاح فضل" "علم الأسلوب" ويعتبره جزءاً من علم اللغة[23].

---

[19]- مسعود بودوخة، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص 13.

[20]- أوستين وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطرابيشي، ط1، سوريا، 1972، ص 22.

[21]- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الأدب، القاهرة، 2004، ص 39.

[22]- حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 15.

[23]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، ص 185.

أما عن مفهوم "الأسلوبية" العام فلا يمكن تحديده إلاّ من خلال إدراج العلاقة التي تربطها بعلم "اللسانيات" نظراً للتداخل الحاصل بينهما، ولأنّ الكثير من علماء اللغة المحدثين اعتبروها وليدة اللسانيات. وبالتالي فهي علم وصفي يهتم بالبحث عن الخصائص والسمات التي تميّز النص الأدبي عن طريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأدبية، أو هي وصف للنصِ الأدبي حسبَ طرائق مستقاةٍ من اللسانيات[24].

أيضاً تتحدّد مهمة الأسلوبية من خلال ردّة فعل القارئ أثناءَ اصطدامه بالنّص والكشفِ عن منبع ردود الأفعال في النّص، فالأسلوبي هو قارئ متعدد يمثل أوجه القراءة، ومعنى ذلك أنّ القارئ يعطي الثقافة القصوى "القراءة النقدية والقراءة المعجمية وغيرها لاكتشاف الوحدات التي نسج المؤلف خيوطها في النّص.

ومن بين أهمّ الثنائيات اللسانية التي تعتمدها الأسلوبية: [القاعدة والانحراف]، [القاعدة والاستعمال]، [التعبير والتوصيل]، [التفرّد والتميز]، [المبدع والمتلقي]، [التعبير والتأثير]، [الإقناع والامتناع]، [الفصاحة والبلاغة]، [اللفظ والمعنى أو الدال المدلول]، [اللغة والكلام]، [اللغة والفكر]، [الاستبدال والتركيب][25].

إنّ الأسلوبية كباقي المذاهب النقدية خاضعة في نشأتها وتطورها إلى تأثيرات الاتجاهات والمدارس الفلسفية المختلفة، ويقر كثير من الدّارسين على تداخلها مع العديد من الاتجاهات، وأبرز اتجاهين هما: أ- البنوية الوصفية، ب- الاتجاه الشكلي. أمّا عن اتجاهات الأسلوبية فهي متعددة منها: - الأسلوبية التعبيرية (الوصفية) - الأسلوبية النفسية (الفردية) – الأسلوبية البنوية...

- **الأسلوبية البنوية**: وتسمّى أيضاً بالأسلوبية الوظيفية تقوم على مبدأ وأساسٍ يجعل الظاهرة اللغوية لا تنحصر في اللغة فقط، وإنما أيضاً وظائفها وعلاقاتها، وأنها تعنى بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص، وبالدّلالات والإيحاء الذي ينمو بشكلٍ متناغم[26].

تقسم الأسلوبية البنوية القراءة الأسلوبية إلى مرحلتين مهمتين:

أ .**مرحلة الوصف**: وهي مرحلة تكتشف فيها الظواهر، ويستطيع القارئ من خلالها التمييز بين النصِّ والنموذج.

ب.**مرحلة التأويل والتغيير**: هذه المرحلة يتخلّص فيها القارئ من الغموض وينتقل إلى مرحلة أسمى من المرحلة الأولى حيث يتطلع إلى التأويل والتغيير.

---

[24]- عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2002، سلطنة عمان، ص 123.

[25]- عبد القادر عبد الجليل، المرجع السابق، ص 134.

[26]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب – دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 86- 87.

لقد لعب "جاكبسون" دوراً هامّاً وكبيراً في تدعيم الألسنية البنوية[27] باتخاذه اتجاهاً جديداً في دراسة اللغة، وكان هو أوّل من أظهر المعنى المحدّد لكلمة "بنية"، وقد نشأت الأسلوبية البنوية نتيجة تلك الصلة التي قامت بين الألسنية والنقد الأدبي الحديث.

للأسلوبية البنوية مفاهيم تتحكم فيها هي: البنية، اللغة والكلام، الوظائف اللغوية الست الوحدات الصّوتيّة المميزة، القيمة الأخلاقية، الرؤيتان: "الآنية والزمانية، وأيضاً محور التأليف والاختيار".

8) الحداثة Modernism:

هي ظاهرة غريبة انطلقت من أوروبا مع الثورة الفرنسية سنة 1789، ويقصد بها التغيير في النّظام السّياسي من النظام الملكي إلى الديمقراطي الذي يقوم على سلطة الشعب والمجالس الممثلة للشعب، واعتماد اللّيبرالية نظاماً اقتصادياً، والمساواة بين الجنسين على الصّعيد الاجتماعي، وإلزامية التّعليم للأطفال، والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن لا ابن الطائفة أو الدين، وتذويب الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة لا تميّز فيها على أساسٍ عرقي أو ديني، وبهذا تكون علاقة المواطن بالدّولة لا بسلطةٍ أخرى[28].

9) الإيديولوجية Ideology:

من أغنى وأعقد المفاهيم الاجتماعية، ولعلّ أبرز منظّرٍ لها هو "كارل مانهايم Karl Manheim" في ما يعرف بعلم الاجتماع المعرفي، ولها مفهومان خاص وشامل، وتقابلها [الطوباوية]. والإيديولوجية هي نظام من الأفكار والتصورات المرتبطة أساساً بطبقةٍ مسيطرةٍ، تعمل وفق مسار يخدم الطبقة الحاكمة ليبرز هيمنتها وتسلطها بغية الإبقاء على النظام في صورٍ من العقلانية والمنطقية، وفق نمطٍ تقليدي يميل إلى المحافظة على الوضع القائمِ والدّفاع عنه، وأيضاً هي ذهنية الفئات الاجتماعية إبان تحجّرها في مصالحها واستلامها زمام السلطة. أما "الطّوباوية" فهي فكر الطبقات المحكومة المتشبعة بالتلقائية والبساطةِ والطّيبة الساذجةِ، فترى بذلكَ في إيديولوجية الطبقة الحاكمة النّزعة النفعية والبراغماتية، فيجب التخلص منها على أساس من النظرة الثورية للواقع قصد تغييره[29].

في حين أنّ هناك من يقابل "الإيديولوجيا" "لرؤيا العالم" انطلاقاً من الوعي التاريخي مثل "لوسيانقولدمان" الذي يقابلها لمصطلح الوعي الجماعي أي مجموع التطلعات والعواطف والأفكار التي توحد أفراد المجموعة أو الطبقة بمواجهةِ مجموعاتٍ أخرى هذه الوحدة المنبثقة من فعاليات الوعي الجماعي في تماسكه وتشابك عناصره.

---

[27]- عيساوي عبد القادر، القراءة البنوية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، س. بلعباس، الجزائر، 2008، ص ص 31- 32.

[28]- عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الوعي للنشر، الجزائر، ط2، 2012، ص 12 وما بعدها.

[29]- ينظر: عمر عيلان، مقال [الإيديولوجيا والنص الأدبي]، أعمال ملتقى "الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينيات"، معهد اللغة العربية وآدابها، أفريل 2008، سعيدة، الجزائر، ص ص 15- 16.

مصادر البحث ومراجعه:

1. أوستين وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطرابيشي، ط1، سوريا، 1972.
2. إريلبنج فيكتور، الشكلانية الروسية، تر: محمد الولي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1.
3. حاتم بن عبد الله الزهراني، شجاعة العقل، دراسة في الفكر الشعري والنسيج اللغوي عند المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عمان، الأردن، 2010.
4. ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ط1، 2009، دار الكتاب المتحدة/ بنغازي، ليبيا.
5. محمد صالح الشنطي، مقال [رؤية الغذامي للنظرية النقدية في التراث العربي]، مجلة علامات، جدة/ السعودية، العدد 76/ 2013.
6. المعجم الوسيط، قام بإخراجه مجموعة كتاب، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1989.
7. وارين أوستين ورينه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطرابيشي، ط1، سوريا، 1972.
8. تودوروف: الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء، 1990.
الزواوي بغورة، مقال [في النقد الفلسفي محاولة في تحديد المفهوم]، مجلة عالم الفكر، المجلد 41/ العدد 4/، 2013.
9. عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.
10. محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم- محاولة تنظيرية تطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع، ط1، 2016، الجزائر.
11. مسعود بودوخة، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
12. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الأدب، القاهرة، 2004.
13. حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
14. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1.
15. عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2002، سلطنة عمان.
16. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب – دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

17. عيساوي عبد القادر، القراءة البنوية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، س. بلعباس، الجزائر، 2008.
18. عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الوعي للنشر، الجزائر، ط2، 2012.
19. عمر عيلان، مقال [الإيديولوجيا والنص الأدبي]، أعمال ملتقى "الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينيات"، معهد اللغة العربية وآدابها، أفريل 2008، سعيدة، الجزائر.